

مقياس حضارات أمريكا اللاتينية

الدرس الخامس: الحياة الثقافية عند المايا

أولاً- الكتابة واللغة

كانت لغات المايا في حقيقتها تضم 42 لغة هندوأمرىكية كل منها تتفرد بها قبيلة من الهنود الامريكيين ومن هذه اللغات لغة الميك ماك، ولغة الزوني، ولغة البيما ولغة شول كما كانت لحضارة المايا لغة مكتوبة وهي الهيروغليفية الماينية نظرا للتشابه السطحي مع كتابة مصر القديمة¹ الفوا بها الكتب حول تاريخهم وعلم الفلك والتنجيم والشعائر الدينية والاعياد والمهرجانات وفي حضارتهم بوجه عام² ولقد اعتبر علماء الاثار نظام الكتابة عند المايا اكثر الانظمة تطورا في امريكا الوسطى، حيث كتب المايا باستخدام 800 علامة³ وكان هذا النظام مركب من عنصرين: كتابة رمزية تعتمد على الاشارات والرسوم (كما هو الحال الكتابة الهيروغليفية) ثم الكتابة المقطعية ويقصد بها أن كل مقطع يمثل حرفا.⁴

ويكتنف البحث العلمي في أصل لغة المايا او اللغات الأمريكية القديمة الكثير من الغموض ويترك اسئلة عديدة لاتزال بدون اجابة. وقد وجدت منقوشات اثرية كثيرة في امريكا تشير الى تشابه كبير ما بين اللغات الهندوأمرىكية واللغة السامية التي كان

¹ أوخينيو تشانج رودريجت: ثقافة وحضارة امريكا اللاتينية ، تر: عبد الحميد غلاب، أحمد حشاد، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 1997، ص 67.

² جون ماكليش: من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، تر: خضر الاحمد، مرا: عطية عاشور، مجلة عالم المعرفة، العدد 251، 1978، ص147.

³ hamouid saber nadjah mazouz: maya civilization, university of hadj lakhder batna, 2014/2015, p37.

⁴ أحمد محمد عوف: موسوعة حضارات العالم، ج2، (د.ن)، (د.ب)، (د.س)، ص30.

يتحدث بها الفينيقيون وأشار كثير من العلماء الأمريكيين عن اثر مؤكد للفينيقيين على شعوب المايا وتبرز في هذا المجال منقوشة كتابية عثر عليها عام 1872 في البرازيل تدعى "منقوشة بارايا" جعلت العلماء ينقسمون بشأنها لأنها تفتح المجال حول تساؤلات كثيرة عن علاقة حضارة المايا بالطرف الثاني، فهذه المنقوشة هي اول منقوشة كتابية من مجموعة النقوش في العالم القديم في امريكا. وهي مكتوبة بالأحرف الفينيقية ويغلب الظن ان يعود تاريخها الى القرن 6ق.م.

وقد توصل المختصون في لغات الشرق الادنى وكتابتها الى ترجمة هذه المنقوشة الحجرية حيث ورد فيها ما يلي: " نحن ابناء كنعان من صيدا التي اصبح فيها تاجر ملكا وأرسلنا الى هذه الأرض البعيدة، بلاد الجبال، وضحينا لآلهة السماء بشاب عمره 19 عاما، ابخرنا من ازيون جبيل على البحر الاحمر بعشر سقوف وبقينا في البحر سنتين وأبخرنا حول افريقية بيد بعل ولم نعد سوية مع زملائنا، وهكذا وصلنا الى هنا وعشرة منا قضوا نحبهم: يا أبرا فلتحرسنا آلهة السماء." ¹

وقد استدل الكثير من العلماء من هذه المنقوشة على العلاقة ما بين الفينيقيين والمايا وكرسوا جهودهم للدراسات اللغوية المقارنة لإيجاد الكلمات المشتركة ما بين اللغة السامية الفينيقية ولغة المايا وعثروا على مفردات كثيرة قادتهم الى استدلالات اضافية عن عناصر اخرى ثقافية تجمع بين الحضارات حول طرفي الاطلسي الا انه لا يزال هناك عدم اجماع حول هذه الفرضيات التي تحتل حتى الوقت الراهن مواضع جدل وحوار وتأمل بين الدارسين. ²

¹ دحام اسماعيل العاني: موجز تاريخ العلم الابتكارات الاولية المؤسسة للعلم، مكتبة الملك فهد، الرياض، ج1، 2002، ص78.

² دحام اسماعيل العاني: المرجع السابق، ص79.

وكانت وحدة نظام المايا للكتابة هي الخرطوشة الرمادية، التي تعادل كلمات وجمل حديثة، ولقد كان من الصعب تفسير كتابة المايا لعدد من الاسباب من بينها انها تمثل الحروف الرسومية الاصوات والافكار فحسب بل يمكن ان تمثل كلا الامرين مما يجعل من الصعب معرفة كيفية قراءة كل صورة رسمية.¹

ثانيا: الفن

امتلك شعب المايا موهبة وقدرة استثنائية على الابداع والخلق ميزتهم في مجال التصميم والهندسة المعمارية، كما يرد في الاهرامات والقصور الملكية العظيمة التي شيدها من الحجارة، ومن خلال تخطيط مدنهم، والجسور والشوارع المعلقة التي تميزت بها حضارتهم.

كما توصلوا لتصميم مستودعات المياه النظيفة تحت الارض لمقاومة مواسم الجفاف. اضافة لتبحرهم في علوم الفلك ومعرفتهم المعقدة به حيث انشؤوا تقاويم شمسية حفروها بالحجارة، ومراصدا فلكية.² وقد تميزت فنونهم التشكيلية بألوانها وتصاميمها ورموزها ذات الطابع الخاص التي تعبر عن عقيدة هذا الشعب الفلسفية والدينية، والتي تردنا من خلال رسومهم على الاواني الخزفية والرسوم الجدارية.

كما اشتهروا بالنحت البارز والمدور باستخدام الخشب والحجارة، وعرفوا الفخار والخزف وصنعوا الاسلحة والادوات والوانى المختلفة الاغراض، والمشغولات

¹ جون ماكليش: المرجع السابق، ص147.

² آمال عريبيد: فناء العالم عند المايا لغز حير العالم! مجلة أضواء، (د.ب)، (د.س)، ص34.

المعدنية، كما اشتهروا بصناعاتهم وفنونهم الحرفية مثل النسيج والسجاد والجلود. هذا وقد وظفوا الخامات النفيسة كالفضة والذهب، والاحجار الكريمة كاليشم الاخضر في صياغة الحلي وتطعيم الادوات والمنحوتات. و شملت فنونهم التمثيلية الموسيقى والغناء واشتهروا بالآلات الهوائية(مثل الفلوت والماريمبا)، والآلات الوترية (مثل القيثارة)، كما اعتبر التمثيل احد فنونهم الرائجة الذي تمحور حول عقيدتهم الدينية.¹

يعد فن النحت عند المايا من اعظم ما ظهر من فنون في أي عصر من العصور فمعابد المايا ملئاً بالمناظر المنحوتة على الحجر نحتا دقيقا متشابكا يمثل الآلهة مع صفاتها، ومن المرجح أن البالنكا التي يرجع تاريخها الى الامبراطورية القديمة في حضارة المايا كانت البلد الذي تقدم فيه هذا الفن الجميل،² وقد عرف شعب المايا اتقان في فن النحت ونلاحظ ذلك من خلال التزيينات التي ظهرت على جدران المعابد والتي كانت بوجوه بشرية واشكال ثعبانية صنعت من الجص او نحتت على قطع حجرية والصفقت لتشكّل نوع من الفسيفساء، وقد اثبت حجر البالينك بوضوح ان نحاتي الحجر من المايا نجحوا في ان يكون الاسياد الذين لا ينازعون في مهنتهم وأنهم توصلوا الى انتاج قطع رائعة من النقش.³

ثالثا الحياة العلمية

1- الاعداد الحسابية

¹ شذى فرج عبو النعمان: لمحة في تاريخ الفن القديم، <https://www.alfnonaljamela.com>، 21/03/2019، 19:15.

² عبد الحق أمروز: المتخيل والمقدس: الكون والشكل، مجلة أثارخاتيس، ع04، حركة المجتمع التمديدي، سوريا، د. س، ص04.

³ راوين: الحضارات الهندية في امريكا (الازتيك، المايا، الإنكا)، تر: يوسف شلب الشام، دار المنارة، دمشق، 1989، ص ص 41-42.

اعتمد الحساب لدى المايا على نظام عشريني أساسه عشرون وليس عشريا أساسه العشرة. وإذا كان النظام العشري يوحي مصدره بأصابع اليد العشرة بان النظام العشروني ربما كان مصدره اصابع الكفين والقدمين كما يعتقد بعض المؤرخين أن النظام يشمل مدلولا موضعيا للاعداد، ولكن ليس بالصورة الكاملة كما هو الحال في الاعداد الهندية وأرقامنا الحالية. وقد استخدم شعب المايا ثلاثة رموز في الحساب. فالنقطة ترمز للعدد (واحد) والخط الصغير (-) يرمز للعدد خمسة والصدفة أو القوقعة الصغيرة ترمز للصفر.

وقد وردت الأرقام الماياوية لعلمنا من دستور دريسن حيث تضمنت هذه الوثيقة الاعداد الماياوية وفق هذه النظام الذي استخدم قبل ألفي عام في حضارة المايا البائدة.¹

2: التقويم والفلك

1- التقويم:

استعمل الكهنة الرياضيات لتطوير نوعين من التقويم، الأول تقويم مقدس على حد قولهم يتكون من 260 يوما. وحمل كل يوم اسم مع واحد من أسماء 20 يوما ورقما من 1 إلى 13. وكان لكل اسم من 20 يوم إله أو إلهة مرتبطة به وكان الكهنة يعتقدون أن باستطاعتهم التنبؤ بالحظ السعيد أو السيء بواسطة تركيب الآلهة أو الإلهات والأرقام. وكان للمايا تقويم من 365 يوم مبني على مدار الأرض حول الشمس، وقسمت هذه الأيام على 18 شهرا باحتساب 20 يوما لكل شهر زائدا 5 أيام

¹ موفق دعبول: مسيرة العدد عبر العصور، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج88، ج1، (د.س)، ص164.

عند نهاية السنة. واعتبر المايا هذه الأيام الخمسة الأخيرة في السنة سيئة الحظ
للمغاية.¹

2- الفلك:

اعتقد المايا أن الأرض مسطحة وذات أربعة أركان. كانت كل زاوية تقع عند نقطة
أساسية وكان لها قيمة اللون: الأحمر للشرق والأبيض للشمال والأسود للغرب
والأصفر للجنوب. في المركز كان اللون الأخضر. يعتقد بعض المايا أيضاً أن
السماء كانت متعددة الطبقات ، وكانت مدعومة في الزوايا بأربعة آلهة ذات قوة
جسدية هائلة تسمى "Bacabs". اعتقدت المايا الأخرى أن السماء كانت مدعومة
بأربعة أشجار من ألوان وأنواع مختلفة، مع الوسط الأخضر، أو شجرة القطن
الحريري، في الوسط.

كما اعتقدت المايا أيضاً أن الأرض في شكلها المسطح هي ظهر التماسح العملاق
، وتستريح في بركة من زنايق الماء. كان نظير التماسح في السماء عبارة عن ثعبان
ذي رأسين - وهو مفهوم ربما يعتمد على حقيقة أن كلمة المايا لـ "السماء" تشبه كلمة
"الأفعى". في الهيروغليفية، يتم تمييز جسد الثعبان السماوي ليس فقط بعلامات من
العصابات المتقاطعة، بل أيضاً للشمس والقمر والزهرة وغيرها من الأجرام السماوية.²

¹ رنيه تاتون: تاريخ العلوم العام، تر: علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، مج 01، 1988، ص424.

² hamouid saber najjah mazouz: op-cit,p37.

وفي الاخير ومن خلال هذه الدراسة توصلنا الى ان نمو المجتمع المدني عند المايا ساعد في ظهور تراث ثقافي ارتبط بضرورات الحياة كالفلك والحساب والفنون...الخ، كما لعبت حضارة المايا دورا هاما في الجانب الثقافي كونها وصلت الى اعلى مستوى من التطور الثقافي خلال الفترة الكلاسيكية واستمر ذلك خلال مرحلة ما بعد المرحلة الكلاسيكية حتى وصول الاسبان.